الاقليم

يراد بالاقليم في عُرف متقدمي الجغرافيين منطقةٌ من الارض يكتنفها خطان مؤازيان لخط الاستوآء وكانوا يقسمون المسافة التي بين خط الاستوآء والقطب الى ثلاثين اقليماً تُعرَف بالاقاليم الفلكية او الرياضية رتبوها باعتبار طول النهار في اوان المنقلَب الصيفي وهو الاوان الذي يبلغ النهار فيهِ غاية طولهِ . وذلك ان النهار يكون عند خط الاستوآء ١٢ ساعة ثم يزداد فيما يليهِ في الاوان المذكور حتى يبلغ اطولهُ عند الدائرة القطبية ٢٤ ساعة ويبلغ عند القطب ستة اشهر فقسموا المسافة الاولى الى اربعة وعشرين اقليماً يزيد نهار كل واحدٍ منها عن الذي قبلهُ نصف ساعة وجعلوا الباقي وهو ما ورآء الدائرة المذكورة الى القطب ستة اقاليم يزيد نهار الواحد منها عن الذي يليهِ شهراً[1] . ثم قسموا كل واحدٍ من هذه الاقاليم الى عشرة اجزآء متساوية من الغرب الى الشرق فكانوا يعينون عرض البلد وطولهُ بالاقاليم واجزآئها

ومعلومٌ ان هذه الاقاليم تتفاوت في الحرّ والبرد وسائر الاحوال الطبيعية تبعاً لبعدها عن خط الاستوآء الا انهُ يعرض لكثيرٍ من بلدان الاقليم الواحد من الاحوال الخاصة ما يخرجهُ عن مماثلة سائر الاقليم بحيث

---

(١) المشهور في كتب العرب سبعة اقاليم تبتدئ من حيث يكون طول النهار الاطول ١٣ ساعة وتنتهي حيث يكون طولهُ ١٦ ساعة فيكون ذلك من عند ١٦° و٤٠َ الى ٥٠° من درج العرض على التقريب

لا تنطبق طبيعة الاقليم على العرض دائماً ولذلك عدل المتأخرون عن هذا التقسيم وفصلوا بين الاقليم الرياضي والاقليم الطبيعي فجعلوا تعيين مواقع البلدان بخطوط العرض والطول وخصّوا الاقليم بالحالة التي يكون عليها كل بلدٍ من الحرارة والرطوبة ومزاج الهوآء وحركة الرياح وغير ذلك من الاحوال الجوية التي تؤثر في طبائع الحيوان والنبات مما نشأ عن مجموعهِ ما يسمى بعلم الاقاليم

وبيان ذلك ان الارض لو كانت كرةً منقادة السطح وكانت جميع جواهرها متماثلة ومساحة البرّ والبحر متساويةً على جميع سطحها لكانت الاقاليم لا تتفاوت الا بالمقدار الواصل اليها من حرارة الشمس بالقياس الى مواقعها من خط الاستوآء وهذا المقدار من الحرارة يتفاوت باعتبارين احدهما عدد الاشعة الواقعة على كل اقليم والثاني مقدار ميلها على سطحهِ ولا يخفى ان ما يقع من الاشعة على منطقةٍ ذات سعةٍ مفروضة كسطح درجةٍ من الارض مثلاً يكون على نسبة نظير الجيب لعرض تلك المنطقة وكذلك انحراف الاشعة يزيد وينقص بالضرورة على هذه النسبة عينها وعليهِ فنقصان معدَّل الحرارة من خط الاستوآء الى القطبين ينبغي ان يكون مناسباً لمربع نظائر جيوب العرض . الا ان هناك اسباباً موضعية يتكيف بها مقدار الحرارة في كل واحدٍ من العروض منها الوضع الافقي وهو مقدار ارتفاع الارض عن مستوى سطح البحر فانها كلما ارتفعت ازداد البرد وهبطت درجة الحرارة هبوطاً سريعاً كما يدل على ذلك سقوط الثلج على قمم الجبال العالية في جميع العروض . وقد حسبوا ان الحرارة تنخفض عند خط

الاستواء درجة في كل ٢٢٠ متراً وفي المنطقة المعتدلة درجةً في كل ١٧٥ متراً في الصيف و ١٠٠ متر في الشتآء وفي نواحي القطبين درجة في كل ١٠٠ متر . ومن تلك الاسباب مجاورة البحار والانهار العظيمة لما ان المآء من اكثر الاجسام اختزاناً للحرارة وابطأها اطلاقاً لها ولذلك كانت حرارة البحر قلما تتغير وكانت مجاورته مما يلطّف الحرارة الزائدة ويقلل التفاوت فيها بين فصلٍ وآخر من فصول السنة وبالتالي يرفع معدَّل حرارة الشتآء ويخفض معدل حرارة الصيف . وهذا هو السبب في اختلاف الاقليم بين الاراضي الساحلية والاراضي البرّية بحيث انهُ مع استوآء معدَّل الحرارة تكون الاقاليم البحرية ذات شتآءٍ معتدل وصيفٍ محتملَ وبعكسها الاقاليم البرّية فان شتآءها يكون قارصاً وصيفها محرقاً . ومنها مجاورة الجبال فانها تصدّ عن الاراضي التي تليها بعض الرياح المتسلطة في سائر الاقليم فتختلف لذلك فيها درجة الحرّ والبرد واذا كانت ذات صخورٍ عارية عكست اليها ما يقع عليها من اشعة الشمس ولا سيما اذا كانت صخورها بيضآء . وهناك امرٌ آخر تختلف بهِ حالة الاقليم في الجبل نفسهِ وذلك ان الجبال تكون في الغالب هرَمية الشكل فاذا كان سنَد الجبل اي جانبهُ مائلاً على الافق ٤٥° مثلاً نحو الجنوب وكان ميل الشمس كذلك وقعت اشعتها عليهِ عموداً وبخلاف ذلك السنَد المتجه منهُ نحو الشمال فان اشعة الشمس يكون ميلها عليهِ ٩٠° اي تكون موازيةً لسطحهِ فيكون احد جانبيهِ في منتهى الحرّ والآخر في منتهى البرد ولذلك يُرَى بعض جبال الألب مكسوًّا من الجانب الواحد بالثلوج الخالدة ومن الجانب الآخر بالخضرة الرائعة

ومن المؤثرات في طبيعة الاقليم ما تشتمل عليهِ الارض من انواع الاتربة والصخور باعتبار ما فيها من الميل الى تشرُّب الحرارة والرطوبة ومقدار ما تبثّ منهما في انحاء الجوّ. واجزاء الارض تتفاوت في ذلك كثيراً فان الاراضي الصلصالية والملحية اشدّ امتصاصاً للحرارة واقلّ اطلاقاً لها من الاراضي الرملية الجافَّة والاراضي الصخرية والبراح اقلّ تبخيراً للرطوبة من الاراضي المستنقعة . ويلحق بذلك ما يتأتى من مثلهِ عن تباين حالة الجوّ نفسه ومقدار ما يمسكهُ وما يطلقهُ من الحرارة وقد تبين بالمراقبة ان نفوذ اشعة الشمس في جوّ الارض على العموم اسهل من نفوذ الاشعة المنعكسة اليه عن سطح الارض او عن الطبقات السافلة من الهوآء ويترتب على هذا انهُ كلما كان الجوّ اكثف كان مقدار الحرارة الوارد على الارض من الشمس يزيد على المقدار الذي ينطلق عنها بالاشعاع وبالتالي كانت درجة الحرارة اعلى . وهذه الخاصيّة في ضبط الحرارة يرجع معظمها الى الابخرة المائية المنتشرة في الهوآء وهي السبب في اشتداد الحرّ في الاقاليم الرطبة وعكسه في الاقاليم الجافّة

ومن ذلك الرياح المتسلطة في كل ناحيةٍ من نواحي الارض فانها من اعظم العوامل المكيفة لطبيعة الاقليم لانها دائمة التصرف بين ابعد جهات الارض واشدّها اختلافاً تحمل خصائص بعض الاقاليم الى بعض من الحرّ والرطوبة وغيرهما وتأثيرها يختلف تبعاً لما تمرّ عليهِ من البحار والجبال والصحارى وغيرها وتبعاً لجهة مسيرها وتعرُّض الارض لمهابّها وعلى الجملة فكل ريح تهبّ على المنطقة المعتدلة من ناحية القطب تكون باردة وكل ريحٍ تهبّ عليها من

ناحية الاستوآء تكون حارّة والرياح الواردة عن البحار تكون باردةً مشحونة برطوبة ملحية وهي تخالف طبيعة الرياح البرّية فتكون اسخن منها في الشتآء وابرد في الصيف ولذلك تغير دائماً في درجة الحرارة الموضعية. وبهذا الاعتبار تقسم الاقاليم على العموم الى قسمين احدهما الاقاليم المطَّردة وهي البحرية فانها قلما تتغير احوالها الجوية لاختزان المياه للحرارة على ما تقدم والآخر الاقاليم المتقلبة وهي البرّية فان درجة الحرارة تتفاوت فيها تفاوتاً بعيداً بين شهرٍ وشهر وبين يومٍ ويوم وساعة واخرى من اليوم وكلما اوغلت في البعد عن البحر كان هذا التفاوت اعظم

وبقي من مكيِّفات الاقليم عمارة البلاد بالحرث والغرس لازالة ما يكون في الارض من الرطوبة العفنية ان كانت من الاراضي المستنقعة او تبريد هوآئها ان كانت قاحلةً ذات هوآء محرق فان مَشقّ السكة في الاولى يفتح منافذ لأشعة الشمس والريح ويبدد ما يتجمع هناك من الطحالب وبقايا النبات الداثر وتوفّر النبات في الثانية يفيد الهوآء برداً ورطوبةً بما يتصاعد عنهُ من الابخرة المآئية ويكون سبباً في اجتلاب السحب والامطار . وقد شهدت المراقبات المتوالية ان بعض البلاد قد تبدل الاقليم فيها بمثل الاسباب المذكورة فانحطت درجة الحرارة او ارتفعت تبعاً لزيادة العمارة ونقصانها وربما فسد الهوآء في بعضها كما قررهُ بعضهم عن مدينة كروتونا بايطاليا بالمقابلة بين حالها في القديم وحالها اليوم فانها بعد ان كانت في الزمن الماضي حافلةً بالسكان اصبح اليوم جانبٌ كبيرٌ منها غير صالحٍ للسكنى لما طرأ عليهِ من اهمال امر المياه المستنقعة وما نشأ عنها من الوبالة والفساد

وهذا الاختلاف في الاقليم يؤدّي الى اختلافٍ في توزع الحيوان والنبات على وجه الارض فان من الحيوانات ولا سيما الثديية التي لا تستطيع المهاجرة من اقليمٍ الى آخر كما تفعل الطير ما لا يقيم في الاقاليم المتناهية البرد او الحرّ فاذا استقرينا مواطن هذه الحيوانات وجدنا انها لا تتعدى الاقاليم المعتدلة وهي كما تقدم لا تتواطأ مع خطوط العرض ولكنها مناطق مستقلة تابعة لحالة الاقليم في خاصة نفسهِ باعتبار الامور العارضة المتقدم ذكرها . وكذلك يقال في النبات ولا سيما الشجر فان منهُ ما لا يتحمل برد بعض الاقاليم بخلاف النبات السنوي فانهُ في مدة الشتآء وخصوصاً القطانيّ منهُ تكون حياتهُ كامنة فلا يذرّ الا صيفاً ولذلك يمكن ان ينبت في بعض البلاد كنروج على ٧٠° من العرض

والاقليم كما يؤثر في الحياة الحيوانية والنباتية يؤثر في الانسان على الخصوص في كلٍّ من احوالهِ الطبيعية والعقلية والادبية لما بين هذه الاحوال والبنية من الاتصال . واظهر ما يكون ذلك اذا قابلت بين سكان اقليمين متضادّين فانك بينا ترى الانسان في المنطقة الحارّة يكاد يتجرَّد من لباسهِ ولا يحتاج الا الى غذآءٍ يسير يحصّلهُ بادنى تعب ترى الانسان في البلاد الباردة يكثر من الملابس والدُّثُر ويُضطرّ الى عملٍ ناصب وكدٍّ متواصل لتحصيل ما يقيمهُ من القوت والكِنّ واللباس ولذلك لا يجد الاول ما يدفعهُ الى الاجتهاد في الكسب فضلاً عما يلحق بنيتهُ من الاسترخاء الناشئ عن شدة الحرّ مما يدعوهُ الى طلب الراحة والسكون فيقضي دهرهُ قاعداً عن السعي والعمل وهذه الحال تسوقهُ ولا جرم الى ان يكون قليل الاهتمام

بالعواقب متفرغاً للاسترسال الى الشهوات والملاذّ الحسية . وبعكسهِ الثاني فانهُ يجد من نفسهِ ما يستحثهُ على الكدّ والتصرف فلا يزال دائباً مجدّاً في التحصيل حتى صار ذلك طبيعةً لهُ وكان كثير التفكر في غدهِ مالكاً من نفسهِ في الصبر على الجهد ومواصلة التعب ما لا يملكهُ ذاك ونشأت بين افرادهِ المنافسات في الغنى ورفاهية العيش فكان اكثر تطالهِ الى ما وراء الملاذّ الحسية من المطالب الشاقّة والغايات البعيدة . ويتصل بذلك ما عليهِ هذان الطرفان من الامور العقلية فانك ترى سكان البلاد الحارّة تغلب عليهم الصوَر الخيالية ويخلدون الى الاوهام والاباطيل وسكان البلاد الباردة يكثرون من التطلع الى المعقولات والبحث عن كنه طبائع الاشيآء . على ان ذلك كلهُ امرٌ اغلبيٌّ لمعارضة الاقليم بالسلالة والارث ونوع التربية والحالة الاجتماعية فلا يطّرد صدقهُ على جميع سكان الاقليم على السوآء

ثم ان البلاد الحارّة يغلب في اهلها المزاج الصفراوي اللمفاوي وتكون دورة الدم فيهم اقوى منها في سكان البلاد المعتدلة الا ان عمل التنفس يكون اضعف فيقلّ مقدار الاكسيجين المُدخَل الى الرئتين ومقدار الحامض الكربونيك المُخرَج منهما الى حدٍ لا يكون في شيءٍ من سائر الاقاليم ولذلك تكون آلات التنفس فيهم عرضةً لأشدّ العوارض الناشئة عن الانقلاب الفجآئي في درجة الحرارة . ويكثر فيهم الونآء والاسترخآء لان اقل حركةٍ يتحركونها ولو في اطراف النهار حين تكون الحرارة على اضعف درجاتها تكفي لأن يتحلب عنها عرقٌ غزير ولذلك يُضطرّون الى الاطلآء بالزيوت والادهان لتثبيط ابخرة الجسم عن الخروج . ولادمان الحرّ عليهم

يكون الجهاز العصبي فيهم دائم التهيج حتى تضعف حركة الفكر كما تضعف حركة البدن ويغلب على الانسان الكسل والقعود وهذا التهيج في العصب هو السبب فيما يُرَى من الشراسة في اخلاقهم وما عندهم من تقلب الاهواء وعدم الثبات في الاعمال والخروج عن الاعتدال في طلب الملذّات والميل الى اللهو والطرب والحركات العنيفة

واما سكان الاقاليم الباردة فالغالب فيهم المزاج الدموي والدورة فيهم ضعيفة لكن اعضاء التنفس قوية في الغاية وتوليد الحرارة في ابدانهم شديد الا ان حسهم ضعيف وجهازهم العصبي في منتهى الخمود . على ان هذه الاقاليم على الجملة اسلم واصحّ من الاقاليم الحارّة واعتيادها اسهل كثيراً بما يتسنى للانسان من وسائط توقي البرد بخلاف الحرّ الشديد فانهُ مما لا سبيل الى التفادي من تأثيرهِ

ولا ريب ان الاقاليم المعتدلة هي افضل البلاد للسكنى لانها بمعزلٍ عن هذين الطرفين واهلها على الجملة معتدلو الامزجة اصحاء الابدان وحالة الاقليم فيها تعين على اتمام جميع الافعال العضوية والعقلية من غير ان يقف في طريقها ما يستوقفها عن غايتها او يعدل بها عن جادّتها وما زالت هذه الاقاليم منذ ثلاثة آلاف سنة موطن المدنية ومهد العلوم والفنون والصنائع وعنها صدر كل ما دُوّن في تاريخ الانسان من عظائم الاعمال وبدائع الاختراع والاكتشاف

البنّ

البنّ بالضمّ كما يؤخذ من عبارة تاج العروس كلمة مولدة استعملها اصحاب كتب العقاقير وقد وردت في كلام داود الحكيم قال هو ثمر شجرٍ باليمن يُغرس حبّهُ في آذار وينمو ويُقطف في آب اه . وهو شجرٌ دائم الخضرة يبلغ طولهُ من خمسة الى سبعة امتار واغصانهُ واوراقهُ متقابلة ولون ورقهِ اخضر لماع هليلجيّ الشكل مستدقّ من الطرفين وزهرهُ ابيض الى الصفرة ينبت في آباط الورق ولهُ رائحةٌ طيبة ولذلك يسمى بالياسمين العربي . وينعقد عنهُ ثمرٌ يكون اولاً اخضر ثم يحمرّ اذا ادرك وهو ينقسم الى فِلقتين في باطن كلٍّ منهما حزٌّ طوليٌّ وقشرتهُ مبطَّنة بغشآء صلب . والبنّ اصنافٌ منها البن العربيّ وهو الذي ترى صورتهُ امامك ومنها الموريسيّ وهو



افضلها بعد العربي اجتُلب من الهند الانكليزية الى ياوا وجزيرة موريس والغابون وقد وُجد من عهدٍ قريب صنفٌ آخر في غابات البرازيل ثمرهُ اصفر ويقال ان نقاعة حبّهِ لذيذة

اما اصل البُنّ فجمهور الباحثين على انهُ اول ما اجتُلب من جنوبي

الحبشة ولم يُنقَل الى بلاد العرب الا في القرن الخامس عشر فاخصب فيها خصباً عجيباً وهو افضل اصناف البن واغلاها ثمناً . واما استعمال شرابهِ المعروف بالقهوة فالمشهور انهُ لم يُعرَف الا في العهد المذكور لكن يؤخذ من بعض النصوص انهُ كان يُستعمَل في بلاد الفرس منذ سنة ٨٤٥ للميلاد. واما في اوربا فلم يُعرَف الا في القرن السابع عشر لكنهُ لم يلبث ان شاع شيوعاً غريباً واتسعت تجارتهُ فكان ذلك داعيةً للهولنديين الى غرسهِ في اعمالهم بالهند فاحتالوا بان اخذوا فسائل منهُ من بلاد العرب وغرسوها في باتاڤيا من جزُر ياوا. ثم اجتُلب من هناك الى هولندا في اوائل القرن الثامن عشر فكانوا يجعلونهُ في بيوتٍ من زجاج ويعالجونهُ بالحرارة الصناعية فعاش فيها واهديت منهُ فسيلةٌ الى لويس الرابع عشر فجُعلت في البيوت الزجاجية من حديقة النبات بباريز . وفي سنة ١٨٢٠ ارسلت الحكومة الفرنسوية ثلاث فسائل منهُ الى بلاد الانتيل على يد الربَّان دُكليو لتُغرَس هناك ومن غريب ما يُحكى عنهُ ان اثنتين من تلك الفسائل هلكتا في الطريق وبقيت الثالثة فاحتفظ بها غاية الاحتفاظ ثم بينا كان في الطريق نفد الماء في السفينة فكان يشاطرها ماء شربهِ حتى بلغ بها الى مرتنيك حيّةً ثم غرسها فعاشت ومنها كل ما يوجد من البن في تلك النواحي وقد نمى واخصب في جميع البلدان التي بين ١٢,٥° و ٣١° من الحرارة واما في البلاد التي حرارتها دون ذلك فلم يعش

والبن يزهر ويثمر مرَّتين في السنة احداهما في الربيع والاخرى في الخريف الا انهُ لا يخلو من الزهر السنة كلها والزهر يعقد ويدرك ثمرهُ

في مدة اربعة اشهر فيكون جناهُ متواصلاً . وهم اذا جنوهُ فمنهم من يكسر الثمرة ويخلّص الحب من القشر بالفرك ثم يجففهُ فيكون لونهُ اخضر ومنهم من يدعهُ حتى يجف ثم ينزع القشر عنهُ بالدياس فيكون لونهُ الى الصفرة . اما في بلاد العرب فيتركونهُ حتى ينضج على شجرتهِ ويسقط فيجف من نفسهِ وقد يهزّون الشجرة حتى يتساقط النضيج من حملها بعد ان يبسطوا لهُ بواريّ يسقط عليها ولكنهم لا يجنونهُ بالايدي وبعد ان يعرَّض للشمس عدة ايام حتى يتمّ جفافهُ يُفصَل الحبّ من قشرهِ بمدالك من الخشب

اما منفعة البنّ فقيما قرَّروهُ انهُ يسهّل الهضم ويزيد التمثيل في الاغذية بحيث انهُ لو قلّ متناولهُ مقدار الطعام لم يشعر بنقصٍ في غذآئهِ . وهو كالخمر كلما تقادم عليهِ الزمن طاب وزكا ومتى بلغ منتهى جفافهِ وهو لا يتمّ الا في مدة اربع الى خمس سنوات امكن حفظهُ الى ما شآء الله وهو حينئذٍ ينتهي وزن اللتر منهُ الى ٥٠٠ غرام مع ان ما كان منهُ قريب العهد بالجنى من سنةٍ الى سنتين يكون وزن اللتر منهُ من ٦٨٠ الى ٧١٠ غرامات . غير انهُ لما كان البن يباع بالوزن لم يكن من المحتمل ان يوجد في اماكن بيعهِ معتقاً لما يطرأ عليهِ من النقص ولذلك يجدر بمستعملهِ ان يتخذ حاجتهُ منهُ مقدَّماً ولا يستعملهُ الا بعد ان يأتي عليهِ الزمن الكافي

ولا حاجة الى وصف كيفيـة استعمالهِ لكن لا بأس ان نذكر شيئاً من الكيفيات التي اصطلح عليها المتأنقون في شربهِ بعد المزاولة والاختبار وقد ذكروا في طريقة تحميصهِ انهُ ينبغي ان يكون معجلاً ما امكن بحيث تكون الحرارة التي يحمَّص عليها على ٢٥٠ درجة ويُرفع عن النار حالما يبلغ

اللون الاشقر صافياً او مُشرَباً تبعاً لاصل نقآء لونهِ ثم يوضع في مصفاةٍ ويحرَّك ذهاباً واياباً فتتطاير عنهُ رائحةٌ اشبه برائحة القرن المحرق وبعد ان تذهب منهُ تلك الرائحة يبرَّد بنشرهِ على طبقٍ معدني او صفيحة رخام وعند اللزوم يُحفَظ في اناء غير ذي مسامّ يُسَدّ سدًّا محكماً . وأعدل التحميص ما ذهب بهِ ١٣ الى ١٥ في المئة من وزن البنّ المعتَّق و١٨ الى ٢٠ من وزن البن الجديد وهو معدَّل الدرجة المذكورة واما تحميصهُ الى ما فوق ذلك حتى يبلغ الى اللون الفحمي ويمجّ ما فيهِ من الدهنية التي يدل عليها بريق لونهِ فقيهِ خلا ما يكتسبهُ اذ ذاك من مرارة الطعم انهُ لا يعود يمكن حفظهُ زمناً لان هذه الدهنية تفسد عند مباشرة الهوآء لها فيكون عنها في القهوة طعمٌ بشع

اما طريقة اغلآئهِ فمنهم من يطحنهُ قبل ذلك طحناً ناعماً ويغليهِ في المآء او يغلي المآء وحدهُ ثم يضيفهُ اليهِ ويرفعهُ عن النار عند اول جيَشانهِ وهي طريقة اهل الشرق ومنهم من يجشّهُ جشاً ويفرغ المآء عليهِ بعد اغلآئهِ على حدّ ما يعالَج الشاي فتأتي عنهُ نُقاعةٌ صافية وهو اصطلاح اكثر مدن اوربا . ومنهم من يختار والحالة هذه ان يكون المآء دون درجة الغليان لكن ينقع البن قبل استعمالهِ في شيء من المآء ليسهل تحللهُ . اما المآء فلا شك ان المقطَّر منهُ افضل ما يستعمل لخلوّهِ عن كل مادّةٍ غريبة قد يتكيف بها طعم القهوة

وافضل ما تتخذ القهوة بعد الطعام لانها تعين على الهضم وتحدث عند شاربها خفةً ونشاطاً واذا أُخذت قبل الطعام فانها على الغالب تضعف شهوتهُ .

وهي تؤثر على المراكز العصبية فتنبه الفكر وسائر القوى العقلية وتُكسِبِ التصوُّر حدّةً الا انها قد تحدث الارق ولا سيما عند غير معتادها واذا أُفرط من شربها فقد تُحدِث اختلالاً في القوى العصبية ولذلك يجمل بعصبيّ المزاج اجتنابها كما انهُ ينبغي اجتنابها في كل حالة تقتضي السكينة في العصب . على انهُ يمكن تلطيف فعلها بالسكَّر او باخذ شيءٍ من الاشربة الروحية كالكنياك مثلاً الا ان تركها على كل حالٍ لمن يتأذى بها اولى

الفُسَيفِساء

هي هذا النقش المعروف وقد يقال فيها فُسَيسآء بحذف الفآء الثانية والعامة تقول فُسَيفِسة بالتآء وهي كلمةٌ دخيلة اهملها اكثر اللغويين ولم يذكرها الجواليقي في المعرَّب ولا الخفاجيّ في شفآء الغليل وقال في تاج العروس قال الليث هي الوانٌ من الخرز يؤلف بعضها الى بعض ثم تركَّب في حيطان البيوت من داخل كانهُ نقشٌ مصوَّر واكثر من يتخذهُ اهل الشام . اه . والفسيفسآء صنفان احدهما ما كان نقشهُ على اشكالٍ هندسية وهي المعروفة عند الافرنج بالنقوش العربية واكثر ما كان يُتَّخذ لتبليط الدور الفخيمة والهياكل واشباهها والآخر ما مُثّلت فيهِ صُوَرٌ طبيعية من الحيوان والنبات وغيرهما يؤلفونها من فصوص صغيرة مكعبة من الرخام او غيرهِ من انواع الحجارة ومن قطع الزجاج الملوَّن وكانت تزين بهِ الجدران والسقوف . وقد كان للمتقدمين عنايةٌ عظيمة بالفسيفسآء ولا سيما في زمن دولة الرومان فكانوا يكثرون من المغالاة بها حتى كانت شائعةً في منازل ارباب الغنى

والترف من عامة الشعب فضلاً عن المعابد وقصور الحكام وغيرها وقد بقي منها الى اليوم بقايا نفيسة من اشهرها فسيفسآء في پالسترين تمثل منَلاس احد ملوك اسبرطا وزوجتهُ هيلانة واخرى في پمپاي تمثل واقعة حرب يظن انها واقعة ايسوس بين دارا والاسكندر ووُجد منها في اكثر المدن القديمة من بلاد اليونان وايطاليا واسبانيا وغيرها واكثرها بالغٌ من الاتقان الى حدّ ان الناظر يتوهم انهُ مصوَّرٌ بالالوان

وعامّة المحققين من اهل البحث على ان الفسيفسآء اول ما نشأت في آسيا وقد ثبت انها كانت من قبل الميلاد بآلاف من السنين في بلاد اشور ومصر وفلسطين على انها لم تبلغ كمال الاحكام والأَنَقة الا في عهد اليونان والرومان. ثم تفنن المتأخرون في صنعتها فعدلوا عن طريقة الترصيع بالفصوص المكعبة الى طريقتين اخريين احداهما وهي طريقة اهل فلورنسا في القرن الثالث عشر وما يليهِ انهم استبدلوا الفصوص ذات الحجم الواحد بقِطَع مختلفة الاشكال من كل لون يقطعون كلاًّ منها على حسب الشكل الممثَّل من الصورة كبيراً كان او صغيراً فتكون كل فسحةٍ ذات لونٍ واحد قطعةً واحدة . والثانية وهي طريقة الرومان انهم يجعلون القطع امثال قضبان دقيقة مستطيلة تختلف اقيستها طولاً وعرضاً تبعاً لمواقعها من الرسم حتى يكون منها ما يماثل ثخانة الخيط وبذلك كانوا يستطيعون ان يدرّجوا الالوان من اقواها الى اضعفها من غير ان يظهر الانتقال من لون الى آخر قيل وكانوا يستعملون لبعض الصور ما تبلغ الوانهُ الى ٥٠ الف لون ما بين اصلٍ وفرع . وبهذا النوع من الفسيفسآء استنسخ البابوات في

القرن السادس عشر الصور التي كانت في كنيسة القديس بطرس من صنع اكابر المصوّرين كرافائيل وطبقته فجعلوا الصور التي استحدثوها مكان الصور الاصلية ونقلوا تلك الى الفاتيكان

ولا تزال الفسيفسآء الى اليوم تُصَنع في فلورنسا ورومية الا ان امرها قد ضعف كثيراً بسبب غلآء اثمانها وكان ناپوليون الاول قد انشأ لها في اوائل القرن الغابر مدرسة في باريز وخرج منها عدة مصنوعات بديعة وُضعت في قصر اللوفر الا انها لم تلبث الا سنواتٍ قليلة ثم سقطت بسقوط الدولة الامبراطورية فجلّ ما يوجد اليوم من هذه الصنعة لا يتعدى البقايا القديمة المتخلفة عن الاولين

مُتَفَرِّقَات

نفاد الفحم المعدني — نشر الدكتور فرَيخ استاذ الجيولوجية في كلية برَسْلاو فصلاً ذكر فيه كميات الفحم الموجودة في كلّ من المناجم الكبرى المعروفة وما يقدَّر من مدة بقآء كلّ منها على التقريب مستنداً في ذلك الى احصآءاتٍ رسمية وتقديراتٍ علمية مدققة . وخلاصة ما قرَّرهُ ان مملكة انكلترا هي اليوم اكثر الممالك اصداراً للفحم فسيكون نفاد مناجمها معجلاً قبل سائر البلاد وبخلافها المانيا فان الصادر منها اقل كثيراً ولذلك ستكون مناجمها هي الذخيرة الباقية لحاجة الزمن المستقبل . واما باعتبار

الزمن فقد قدّر ان في خارج اوربا من المعادن الفحمية اي في اميركا الشمالية والصين وعلى الخصوص في ولاية شان سي ما لا تنفدهُ الصناعة في العالم قبل ثلاثين او اربعين قرناً . واما في اوربا فان الفحم الذي في مناجم دَرْهام ونُرثمبرلند من ولاية سكس وبوهيميا الوسطى يكفي من ١٠٠ الى ٢٠٠ سنة والذي في جميع ما بقي من المناجم الانكليزية ومناجم اواسط فرنسا يكفي من ٢٠٠ الى ٣٠٠ سنة . ومناجم ولندنبور بالمانيا تكفي من ٣٠٠ الى ٤٠٠ سنة . وجميع مناجم شمالي فرانسا تكفي من ٦٠٠ الى ٨٠٠ سنة . ومناجم سَرْبروركن وإكس لاشاپيل ووستفاليا والبلجيك وسيلازيا الشمالية ومورافيا وپولونيا الروسية تكفي الى ١٠٠٠ سنة فما فوقها . وهذه المواضع الاخيرة تشتمل على اوفر المعادن مادّةً واكثرها عدداً وقد قاس الدكتور فرَيخ بعضها فكان معدّل اتساعها ٥٠٠٠ متر

اختلاف درجة الحرارة بين المدن والضواحي — استقرى المسيو هلمان رئيس ندوة الوقائع الجوّية في برلين درجة الحرارة في تلك المدينة وضواحيها فتحصّل لهُ ان معدّل التفاوت السنوي بين حرارة المدينة والضاحية يبلغ نحو درجة واحدة ومعظمهُ يكون في مدة فصل القيظ اي من مارس الى اوغسطس واكثر ما يظهر حينئذٍ في المسآء حين تُشعّ المنازل الحرارة التي تشرّبتها مدة النهار وهو يبلغ في الصيف درجتين فاكثر وفي بعض الليالي الراكدة يمكن ان يبلغ الى ٥ درجات

لطائف عربية

من لطيف التفنن في صناعة الادب ما يروى من ان الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل كان اذا مُدح لا ينظر الى وجه مادحهِ فعمل ابن مطروح قصيدةً بنى قافيتها على الاشارة فكان كلما انتهى الى قافيةٍ اشار فنظر اليه الملك وهي هذه

تعشقتُ ظبياً وجههُ مُشرقٌ كذا — اذا ماس خلتُ الغصن من قدّهِ كذا
لهُ مقلةٌ كحلآء نجلآء ان رنت — رمت اسهماً في قلب عاشقهِ كذا
تجلّى فقال الناس لا بدرَ غيرهُ — وخرَّ لهُ كل الورى سُجَّداً كذا
اقول وقد عاينتهُ ويمينهُ — على خدّهِ اذ ظلّ مفتكراً كذا
فدتك حياتي يا منى النفس هل ترى — اراك ضجيعي ليلةً آمناً كذا
فقال اما تخشى الرقيب وتتقي — عيون الاعادي والوشاةُ بنا كذا
فقلت لهُ واللّه يا غاية المنى — كشفتُ قناعي فيك بين الورى كذا
وبحتُ بسرّي واطّرحت عواذلي — فأطرقَ اذ أوما باصبعهِ كذا
وقال اما انذرتك الآن انني — احبّ اكتتام السرّ قلت لهُ كذا
ومدَّ يداً نحوي يريد تشبُّثاً — اليَّ فبادرت التزاماً لهُ كذا
وقبّلتهُ عشراً وأسبلتُ ادمعي — على صفحات الخدّ من مقلتي كذا
ايا نسمات الروض باللّه بلغي — سلامي الى من صرت من اجلهِ كذا
وقولي لهُ ذاك الغريب املّني — اليكَ سلاماً من تحيتهِ كذا
عساهُ اذا وافت تحيةُ عبدهِ — يسائل عن حالي بأنملهِ كذا

وأُقسِمُ بالله العظيم ووجهـهِ ال   كريم والاّ متّ معتقداً (كذا)
لئن صدَّ عني وانثنى وهو مُغضَبٌ   واصبح حبل الوصل من قربهِ كذا
تمسكتُ بالسلطان ايوب ذي الندى   مبيد العدى من حدّ اسيافهِ كذا
مليكٌ قـديرٌ قاهرٌ متجاوزٌ   سخيٌّ وفيٌّ ليس في وعدهِ كذا
مليكٌ اذا ما رمتُ اذكر فضلهُ   عجزت فلا عدٌّ لاحصآئهِ كذا
مليـكٌ اذا لاذ العفـاة ببـابهِ   بدا جوده دفقاً لقاصدهِ كذا
مليكٌ اذا ما قمت ادعو تضرُّعاً   لدولتـهِ قال الانام إذَنْ كذا
فجد ايها السلطان للعبد عاجلاً   بكسوتهِ فالبرد في جسمهِ كذا
ومُنَّ على ضعفي بفروٍ وكُمَّةٍ   اذا ما رآها صاحبٌ قال لي كذا
وعش وابقَ واسلم وارقَ واعلُ فانني   احبٌّ ارى اعدآءك الآن في كذا
فلازلت في امنٍ مدى الدهر ما سرت   كؤوس الحُمَيَّا في اكفّ الورى كذا [1]

(١) كذا وجدنا هذه القصيدة في احدى المجاميع القديمة وقد تفقدناها في ديوان ابن مطروح المطبوع في مطبعة الجوائب فوجدناها مروية في اواخر الديوان مجردة عن ذكر السبب في نظمها على هذه القافية وقد سقط منها ما بعد بيت التخلص ووقع فيها خلا ذلك تبديل ونقص وزيادة فأقررناها على الصورة التي وجدناها عندنا ليتمكن من عندهُ الديوان من المقابلة بين النسختين

ولسنا ننكر على المطالع ما في بعض ابيات هذه القصيدة ولا سيما ابيات المدح من المواضع التي يصعب استخراج معناها وتحقيق الاشارة المقصودة فيهـا مع قلة ما فيها من المعاني المستجادة وما يتبين من الضعف في كثيرٍ من ابياتهـا وانما رويناها في هذا الموضع لغرابتها في باب النظم وعندنا انهُ لو نظم بعض شعر آئنا المجيدين على هذه الطريقة مع توخي النباهة في المعاني والطلاوة في الالفاظ والاساليب لم يخلُ ما يأتي به عن فكاهةٍ مستملحة ولكان لهُ في هذا النوع من القوافي مكانٌ لتوليد كثيرٍ من المعاني والنكات مما لا يتأتى في غيرها

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ما هو السبب في جعل فبراير ثمانية وعشرين يوماً

حنا الياس العريان

الجواب — السبب في ذلك انهُ لما صحح يوليوس قيصر حساب السنة جعل الشهر الاول منها وهو مارس ٣١ يوماً وابريل ٣٠ ومايو ٣١ وهكذا الى آخر السنة فكانت ستة اشهر منها مركبة من ٣١ يوماً والستة الباقية من ٣٠ وجملتها ٣٦٦ يوماً وهو عدد ايام السنة الكبيس واما السنوات الأُخر فكان عدد ايامها ٣٦٥ يوماً فلزم ان يُهمَل يومٌ من احد الشهور فجعل ذلك اليوم آخر ايام السنة وهو اليوم الثلاثون من فبراير فكان يُحسَب بعد ذلك في ثلاث سنوات ٢٩ يوماً وفي الرابعة ٣٠ . ثم ان الاشهر من يوليو الى دسمبر كانت تسمى باسم عددها من السنة فكان يوليو يسمى كوينتيليس اي الخامس واوغسطس يسمى سكستيليس اي السادس وهلمَّ جرًّا الى دسمبر ومعناهُ العاشر فلما صحح حساب السنة احبّ ان يختصّ نفسهُ بشهرٍ منها يسميهِ باسمهِ فاختار لذلك الشهر الخامس وسماهُ يوليو او يوليوس . ثم لما توفي خلفهُ اوغسطس قيصر فاختص لنفسهِ شهراً آخر واختار الشهر الذي يليهِ وهو سكستيليس فسماهُ اوغسطس وكان عدد ايامهِ ٣٠ يوماً تبعاً للترتيب المذكور فكره اوغسطس ان يكون الشهر المخصوص بهِ ٣٠ يوماً حال كون الشهر المخصوص بسالفهِ ٣١ فجعلهُ ٣١ يوماً وحينئذٍ جعل كلاًّ من ستمبر ونوفمبر ٣٠ يوماً لئلا يتوالى ثلاثة اشهر بعدد ٣١ وجعل كلاًّ من

اكتوبر ودسمبر ٣١ يوماً . الا ان السنة زادت بذلك يوماً لانها صارت ٣٦٧ يوماً فنقص يوماً آخر من شهر فبراير فصار يُحسَب في السنة الكبيس ٢٩ يوماً وفي غيرها ٢٨

جرجا — مرّ بي في صدر الجزء التاسع من ضيائكم الزاهر لفظة « النُفّاخة » فكشفت عنها في القاموس فوجدته يقول في تفسيرها « الحجارة فوق الماء » فأُبهم عليَّ مرادهُ بهذا التفسير لاننا لا نعرف نوعاً من الحجارة يطفو فوق الماء الا ان يكون قد سقط الينا شيءٌ من حجارة المرّيخ لانهُ يقال ان مادّتهُ اخفّ من موادّ الارض ... ثم راجعت ذلك في تاج العروس ولسان العرب فوجدت فيهما التفسير نفسهُ وهو مما زادني حيرة وارتباكاً . واخيراً نظرت في معجم الآباء اليسوعيين المسمى باقرب الموارد فوجدت لها هناك تفسيرين احدهما ما ذُكر والآخر انها بمعنى « ما يطفو فوق الماء من الفقاقيع » واظن ان هذا الاخير هو مرادكم في عبارة الضياء كما تدلّ عليهِ القرينة لكن هذا المعنى لم اجدهُ في القاموس ولا في التاج ولا اللسان فهل هو من المعاني المولدة ام ورد في شيءٍ من الكتب غير ما ذكرت

سليم بطرس

احد المتخرجين في مدرسة الآباء

اليسوعيين في مصر

الجواب — اما ما جاء في القاموس ولسان العرب وتاج العروس فهو تحريفٌ او غفلةٌ من مصححي هذه الكتب والصواب في لفظ الحجارة « الحَجاة » بحذف الراء وهي الفُقّاعة التي تطفو على وجه الماء كما ترون

تفسيرها في كتب اللغة . واتفاق هذه الكتب الثلاثة على صورةٍ واحدة من الغلط في هذه اللفظة من الامور المستغربة والظاهر ان الناسخ او المصحح الاول خفيت عليهِ لفظة الحجاة لغرابتها فظنها الحجارة ثم كان المصححون اذا عرضت لهم شبهةٌ في لفظةٍ يقابلون بعض هذه الكتب على بعض فوقع هذا الخطأ في سائرها ومهما يكن هناك فما لا شبهة فيهِ ان هذا من الغلط الطارئ على اصل التصنيف والمصنفون برآءٌ منهُ . واما ما « ورد » في اقرب الموارد من تفسير النفَّاخة اولاً بمعنى « الحجارة فوق المآء » ثم تفسيرها ثانياً بمعنى « ما يطفو فوق المآء من الفقاقيع » فلا ريب ان المؤلف لم يرد بالحجارة الا الحجارة بعينها لانهُ جعلها احد معنيي النفاخة وجعل الفقَّاعة من المآء معنىً لها آخر فكانهُ لم يزد هذا التفسير الثاني الا لينفي بهِ احتمال التحريف في الاول . وبقي هناك غلطٌ آخر وهو قولهُ ما يطفو على وجه المآء من الفقاقيع لان هذا اللفظ تفسيرٌ للنفاخة وهي مفرد فكان ينبغي ان تفسَّر بالفقاعة لا بالفقاقيع وكأَنَّ الذي استدرجهُ الى ذلك انهُ رآها فيما ذكر مفسرةً بالحجارة وهي جمعٌ فلم يبقَ الا ان تكون جمعاً ففسرها بالفقاقيع

القاهرة — كيف ننشد مثل قول الشاعر

أمنّي تخاف انتشار الحديث وحظّيَ في سترهِ اوفرُ

فانا نرى من الناس من يجعل الثآء من الحديث تابعةً للشطر الاول ومنهم من يجعلها تابعةً للشطر الثاني وفي الحال الاولى منهم من يبقيها على حركتها

ومنهم من يسكنها فما الصواب في كل ذلك نقولا بدران

الجواب — الصواب جعل الثآء تابعةً للشطر الاول مع ابقآء حركتها لان فعولن الواقع في عروض هذا البحر اسيے في آخر صدرهِ يجوز فيهِ القبض والحذف فيصير بالقبض فعولُ باسقاط النون وبالحذف فَعُوْ باسقاط السبب الخفيف فينقل الى فعَلْ . فالقبض كما في هذا البيت والحذف كما في قولهِ

واشهدُ انك بي واثقٌ وان كنت تُظهِرُ ما تُظهِرُ

واما اسكان الثآء او جعلها تابعةً للشطر الثاني فكلاهما لا يجوز بوجه لان الاول يقتضي جمع ساكنين في غير القافية وهو ممتنعٌ فضلاً عن ان الاسكان انما يكون في الوقف والوقف لا يكون في وسط البيت والثاني يقتضي زيادة متحرك على اول فعولن الواقع في اول العجز فيصير فعلاتن وهو مفسدٌ للوزن

آثار ادبيّة

انيس الجليس — قد بلغت هذه المجلة الانيقة سنتها الرابعة وهي مثابرة على ما عودت قرّآءها من نشر المقالات النفيسة والنُبَذ المستملحة متفننةً في انواع المباحث العصرية والآداب الاجتماعية والفوائد التهذيبية مما نالت بهِ الشهرة السائرة بين المتأدبين من اهل العصر وحلّت بهِ المحل السامي بين الصحف العربية . فنكرّر ثنآءنا على حضرة منشئتها الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينوه بما يستحقهُ اجتهادها وثباتها ونتمنى لمجلتها الحسنآء مزيد الاقبال والانتشار

فكاهات

رواية

عواقب الطيش [1]

كان في باريز شابٌ في الخامسة والعشرين من العمر يدعى ادمون وسيم الوجه دمث الاخلاق بادي النشاط ينبئ منظرهُ عن البسالة وعلوّ النفس وتوحي عيناهُ السوداوان شدة الذكاء وحدَّة التصوُّر ورقة الشعور وهو ابن قائدٍ رفيع المكانة في الجيش الفرنسوي توفي عن ثروةٍ صالحة تاركاً ولدهُ ادمون لعناية والدتهِ فربي في ظل حنوّها حتى ترعرع ودخل المدارس فتلقى العلوم والمعارف ناهجاً طريق الاعتماد على النفس في كل اعمالهِ فنال شهادة المدرسة الحربية وتعين ملازماً في الجيش . وكان محبوباً عند رفاقهِ الضباط للين عريكتهِ وحسن خلالهِ غير انهُ كان كثير الميل الى العزلة والانفراد يتلذذ بمناجاة آمالهِ ومناغاة امانيّهِ واميالهِ حتى انهُ لم يكن يخرج للتنزه على ظهر جوادهِ الاوحدهُ بغير رفيق

واتفق انهُ بينما كان مارًّا في احد الايام على الجسر وقع نظرهُ على غادةٍ بهية الطلعة مهيبة الذات كانت مارّةً من هناك والتقت العين بالعين فكان لذلك الالتقاء تأثير رعشةٍ واضطراب في فؤادهِ وانطبعت في ذهنهِ

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم موسى افندي صيدح

صورة ذلك المحيّا باحرفٍ من نور وارتسمت سورة الوجد حولها باحرفٍ من نار وكأَن الشاعر العربي تخيَّل مثل تلك الحالة منذ قرونٍ مضت فقال

عيونَ المَهَى بين الرصافة والجسرِ
جلبنَ الهوى من حيث ادري ولا ادري

وبات ادمون بعد ذلك عرضةً لتلاعب الامانيّ والتصورات تتصرف فيهِ كما تشآء لان الحب اذا دخل قلب امرئٍ تقلصت فيهِ سلطة العقل واضحى الحكم للعواطف فهي ذات التصرف المطلق والارادة النافذة

وكانت الغادة التي رآها ادمون في طريقهِ في السادسة والعشرين من العمر رشيقة القوام صبيحة الوجه جامعةً لكل فتانٍ من المحاسن واسمها مادلين وهي ابنة رجلٍ من اصحاب الثروة الواسعة نشأت على الفضائل والآداب الحسنة وتثقفت بالعلوم والفنون فاصبحت آيةً في كمالها كما هي فتنةٌ في جمالها وكان ابوها قد زوَّجها بالمسيو ريمون رئيس محكمة الجنايات الكبرى في باريز مع بلوغهِ الخمسين من العمر رغبةً منهُ في ان يقرن الغنى بالجاه . وريمون هذا من اعاظم رجال الحكومة وذوي الشهرة بينهم بسعة الاطلاع والتضلع من المعارف وعلى الخصوص القانونية منها غير انهُ لم يكن يخلو من جفوةٍ في طباعهِ وقسوةٍ في فطرتهِ وقد رأى مادلين فافتتن بها وسعى في الحصول عليها فلم يُرَدَّ لهُ سؤلٌ فتمَّ سعدهُ كما يشتهي ويريد

وقضيا بعد الزواج مدةً بتمام الأُلفة والهناء ثم اخذت العلائق تبرد بينهما شيئاً فشيئاً لان جذوة الحب في فؤاد ريمون اخذت في الخمود يوماً بعد يوم جرياً على السنة الطبيعية لانهُ حبٌّ نشأ في غير اوانهِ فكان اشبه

بنار القنَّب تشتعل حيناً بشدّة ويرتفع لهيبها ثم لا تلبث ان تخمد وتتلاشى ولا سيما وانهُ لم يكن لذلك الحب رابطٌ قويّ من العواطف يضمن بقاءهُ لاستحالة المبادلة مع اختلاف السن وتباين الاميال بين العروسين . وعلى اثر هذا الفتور عاد ريمون الى انهماكهِ في الاشغال العقلية وانصبابهِ على المباحث القانونية وانصرفت افكار مادلين الى سياسة منزلها ومشارفة احوال الخدم كما هو شأن المرأة العاقلة . وكانت تخرج في غالب الايام للنزهة عند المسآء فاتفق ان التقى بها ادمون ذلك الملتقى ولما رآتهُ وقع من قلبها موقعاً جليلاً ثم افترقا وقد تزودت من الشوق الى معرفتهِ فوق ما تزوَّد من تأثير لحظاتها

***

جاء اليوم الثاني وحلّ ميعاد النزهة فكان على الجسر ادمون ومادلين وقد التقيا في نفس الوقت الذي تصادفا فيهِ بالامس واحسَّ كلٌّ منهما عند تصادم اللحظين بشيء من السرور ولبثا على هذه الحال اياماً وهما يتقابلان كل يوم ولا يكلم احدهما الآخر . وخطر لادمون في احد الايام ان يتوصل الى معرفة شيء من امر مادلين فتتبعها من وراء وراء وما زال حتى رآها دخلت قصراً منيفاً يدل على العظمة ورفعة المقام فعرف وقتئذٍ من هي وداخلهُ على اثر ذلك شيء من اليأس وخيبة الآمال لانهُ رأى نفسهُ دون مقامها غير انهُ لم يتأخر مع ذلك عن السعي الى الموعد المعين في كل يوم مدفوعاً بقوَّةٍ لا تقاوَم . واتفق في تلك الاثناء ان الجرائد نشرت خبراً مفادهُ ان مادام ريمون ترأست جمعيةً غايتها جمع المبرّات

لمساعدة مدرسة اليتامى واثنت عليها وحثّت اهل الخير على مؤازرتها في ذلك العمل الخيري فكان الكبرآء واصحاب الثروة يتسابقون الى بيت المسيو ريمون ليقدموا للسيدة مادلين مساعداتهم الماليـة لما شرعت فيهِ . وعندئذٍ خطر لأدمون الاّ يضيع هذه الفرصة فتوجه الى منزل المسيو ريمون وعرض على السيدة مادلين رغبتهُ في المساعدة وكان خافق القلب ثائر الجأش كانهُ بحضرة ملكٍ عظيم او ملَكٍ كريم وعرفتهُ مادلين عند ما رأتهُ فرحبت بهِ وقد حاولت ان تخفي ما شعرت بهِ من الاضطراب عند مقابلتهِ مع انها قبل هنيهةٍ كانت تقابل الكبرآء والعظمآء غير مبالية . ثم قدم اليهـا ادمون صكاً بقيمة ثلاثة آلاف فرنك وسألها التنازل لقبولهِ فشكرتهُ مادلين على عواطفهِ الشريفة ومقاصدهِ الخيرية ثم قدمتهُ الى المسيو ريمون فبشَّ اليهِ وسُرَّ بمعرفتهِ وجلسا يتحدثان . ومنذ ذاك الحين عُدَّ ادمون من اصدقاء البيت فصار يتردد ويوالي الزيارات وحين لا يجد المسيو ريمون في البيت كان يجلس الى مادلين فيتجاذبان اطراف الحديث . وكان ادمون يرى من رقة مليكتهِ وغزارة آدابها وعلوّ نفسها ما يستعبدهُ رقاً ويزيدهُ في كل يوم شوقاً جديداً ولم يكن يجسر ان يفاتحها بحديث وجدٍ او شكوى غرام لان شخصهـا كان لديهِ مثال الهيبة والوقار فكان يكتم جواهُ راضياً بما أُوتي من نعمة التقرب اليها والحصول على بعض الانعطاف منها مكتفياً بلذة مشاهدتها ونعيم مجالستها وتكاثرت اجتماعاتهما بعد ذلك وكانت كلها احاديث رقيقة تشفّ عن صدق ميلٍ متبادَل تغتبط بهِ النفوس فان هذه اللذة احسن لذةٍ واثبتها هنآء

وكان من جملة من يترددون على بيت المسيو ريمون رجلٌ واسع الجاه رفيع المقام بعيد الشهرة اسمهُ الجنرال فريدريك وهو ذو منصبٍ سامٍ في وزارة الحربية ولم يكن يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر . وكان مفتوناً بمادلين كل الافتتان وكان يكثر من التردد على ريمون رغبةً في مشاهدة مادلين والتلذذ بمحادثتها مترقباً الفرص ليبوح لها بغرامهِ ويكشف عما يطويهِ فؤادهُ من الوجد والهيام الى ان أُتيح لهُ يوماً مشاهدتها وحدها فاخذ يشكو لها ما يلاقي من هول غرامها مستعطفاً اياها متذللاً متعبداً . اما هي فاستنكرت شكواهُ وقابلتها بالصد والملام وقد حسبتها تجرؤاً على فضيلة صيانتها وطهارة عفافها واخذت منذ ذاك الحين تجتنب مقابلتهُ ما استطاعت مما زادهُ على نارهِ ناراً ولم يبقِ لهُ على مضاجع الراحة قراراً

واحس فريدريك بما كان من ازدياد تقرب ادمون من مادلين والاكثار من ترددهِ عليها وجلوسهِ اليها ثم خلوتهِ بها عند غياب المسيو ريمون من البيت فداخلتهُ الغيرة وهاج بهِ الحنق للانتقام من مادلين فارسل الى المسيو ريمون كتاباً مجهول التوقيع يخبرهُ فيهِ بانحراف امرأتهِ عن الجادّة وتعلقها بحبال هوى الفتى ادمون ويذكر لهُ عن اجتماعها بهِ في خلوات عديدة الى غير ذلك مما يبعث الانفة ويثير الغضب والغيرة . اما ريمون فلمزيد ثقتهِ بفضيلة امرأتهِ وفرط صيانتها لم يكترث في اول الامر بما قرأ وحملهُ على دناءة بعض الاعداء غير انهُ لما تكرر عليهِ ورود الكتب في هذا المعنى وكل كتابٍ تشتدّ لهجتهُ عما قبلهُ وفيهِ تعيين الاوقات التي كان يجلس فيها ادمون الى مادلين اثر ذلك اخيراً في ذهن ريمون وادخل الريبة على

قلبهِ فعزم ان يتحقق الامر بنفسهِ واخذ منذ ذاك الحين يشدد المراقبة ويتتبع امرأتهُ في كل حركاتها

***

في احد الايام اذ كان ادمون جالساً الى مادلين في البيت على انفراد يتحدثان على جاري عادتهما وهو يرسل اليها نظر الافتتان متأملاً في عينيها النجلاوين وثغرها البسام ورشاقة قدها الفتان هاج فيهِ كامن الوجد والهيام حتى تغلب على واجبات الوقار والرزانة فاخذ يشكو اليها ما يلاقي من لواعج الحب وتباريح الوجد مستعطفاً اياها لترثي لهُ وتشفيهُ من عناء ما يشقيهِ . اما مادلين فكانت تصغي اليهِ وهي مقطبة الوجه ثائرة قوى النفس ثم قالت لهُ اني كنت احسبك يا ادمون صديقاً مخلصاً في اميالك مستقيماً في اطوارك لا يخدعك وهمٌ ولا يأخذك طيش وقد رغبت في معرفتك بعد ان تحققت علوّ نفسك وغزارة ادبك ولم اجهد في توثيق عرى الالفة بيننا الا على امل ان يكون ارتباطنا ارتباطاً وديًّا تتنعم بهِ النفوس وتتلذذ القلوب اما وقد رأيتك تسيء الظن بفضيلة نفسي فتطلب مني ان اجاريك على ميلك وفي هذا نكثٌ لعهود الصيانة واجحافٌ بحقوق الزوجية فقد صرت اشك في صحة ودادك واوقن بانحراف غايتك . فنزل هذا الكلام على ادمون كالصاعقة لما رأى من غيظ مادلين منهُ وايقن بابتعاد قلبها عنهُ فاضطرب واكتأب واخذ منهُ اليأس كل مأخذ فلم يرَ الا ان ينكب على قدميها ليستعطفها فنفرت منهُ فهجم وتناول يدها وادناها من فمهِ ليقبلها وعندئذٍ فُتح الباب فجأةً وتراءى شخص ريمون وقد وجه اليهما انظاراً احدّ من

السهام وكان منظرهُ في ذلك الوقت مثال الرهبة والذُعر ثم لم يلبث ان ترك الغرفة وانصرف . اما مادلين فلبثت كالصنم لا تدري ماذا تقول او كيف تبرئ نفسها وقد خانها الجلد فاتكأَت على المقعد ثم وجهت الى ادمون نظرة يأسٍ وقالت يا سوء ما جنيت عليَّ يا ادمون . ثم اصطكت اسنانها وداهمتها نوبةٌ عصبية تلاها غشيٌ فطار قلب ادمون هلعاً وصار يطوف في الغرفة كمن مسهُ الجنون ثم انكب على مادلين واخذ يعالجها بما وصلت اليهِ يدهُ حتى افاقت من غشيتها فالتفتت اليهِ وقالت لهُ اذهب يا ادمون واتركني اقاسي ما اقاسيهِ وحدي فاني بمقاساتي اكفر عن ذنبك . فودعها ادمون وخرج وهو يتهادى كالسكران او كالخارج من موقعة قتال عنيف وعند وصولهِ الى البيت جلس يفكر فيما مرّ بهِ من الاهوال وعظم ما جنى على ذلك الملَك الكريم وبات بليلة الملسوع حتى بدا الصباح . واول ما خطر لهُ ان يذهب لمقابلة ريمون ويستغفرهُ عما اتاهُ ويكشف لهُ عن عفاف زوجتهِ وعلوّ فضيلتها وينفي من ذهنهِ سوء الظن بها فتوجه اليهِ في المحكمة حيث يستقبل زائريه . اما ريمون فلما رأَى ادمون رحَّب بهِ وقابلهُ ببشاشتهِ المعتادة ثم أفاض معهُ في الحديث كأَن لم يكن شيءٌ مما كان فدهش ادمون لهذه المعاملة ولم يدرِ كيف يأوّلها ثم تطرق في الحديث الى ذكر حادث البارح وأخذ يصف لهُ طهارة السيدة مادلين وفرط صيانتها وشدة عفافها مثبتاً ذلك باغلاظ الايمان ثم خرّ على ركبتيهِ امام ريمون وقال اني انا وحدي الجاني فان شئت ان تغفر لي عددت ذلك منك رحمةً والا فهذه حياتي بين يديك فافعل بها ما تشآء . فاستوقفهُ ريمون وقال لهُ اني لا

اريد بحياتك سوءًا يا ادمون وانما اطلب منك امراً فان أتممتهُ عفوت عنك ونسيت لك كل زلة . قال مرْ بما بدا لك فاني اتممهُ بغير تأخر . قال اريد ان تسافر بعد يومين من باريز ولا تعود اليها في مدة سنة . فامتقع لون ادمون واكتأب اي اكتئاب ولكنهُ لم يرَ بدًّا من القيام بما وعد بهِ فقال طوعاً لامرك يا سيدي ثم نهض فودعهُ وانصرف . وفي اليوم الثاني جهز لوازم السفر وكتب الى مادلين يخبرها بما تمّ ويذكر لها فرط لوعته و... يد حزنهِ مستغفراً منها مسترحماً ان تعفو عن زلتهِ وتبقى على حبهِ وفي صباح اليوم التالي كان خارج باريز مع الفرقة المسافرة الى الحدود

اما ريمون فلم يتغير على مادلين بعد تلك الحادثة وكان يعاملها بما عوَّدها من البشاشة والملاطفة فايقنت بصدق اعتقادهِ بفضيلتها وانهُ لم يسئ بها ظنًّا

***

ومضى على ادمون شهران في الاغتراب تقلب فيهما على مضاجع من الوجد احرّ من الجمر حتى لم يعد يطيق صبراً واتفق ان رأى احدى الليالي حلماً مزعجاً تمثلت لهُ فيهِ حبيبتهُ بحالة الخطر وهي تطلب منهُ الاقبال لتخليصها فزاد ذلك في وساوسهِ واضطرابهِ وافقدهُ التجلد فلم يكن منهُ الا ان غادر الجيش يوماً بغير علم احد قاصداً باريز وعند وصولهِ توجه توًّا الى بيت المسيو ريمون فشاهد بعض الخدام في الباب فسأل احدهم عن عن مولاتهِ فقال لهُ انها منذ يومين تمخض لتلد وهي تذوق اصناف العذاب والآلام والقابلة ملازمةٌ لها . فقال أوَ لم تستدعوا لها احداً من

الاطبآء . قال لم يأمرنا المسيو ريمون باستدعآء احد سوى المسيو دولار طبيب البيت وهذا لم يأتِ الى الآن . قال وهل المسيو ريمون هنا . قال لا يا سيدي فانهُ خرج في هذا الصباح ولم يعد . فأخذ الغيظ والاسف من ادمون كل مأخذ وطار قلبهُ جزعاً على حبيبتهِ اذ رأى انها على شفا الخطر وليس من يعتني بأمرها وقد اهملها اقرب الناس اليها فصار يتخطر في الشارع ذهاباً واياباً وهو غائب عن الوجود لا يدري ماذا يفعل . واخيراً فكر ان بقآءهُ في الشارع مما يؤاخذ عليهِ فانصرف قاصداً بيت القابلة لينتظرها ويستفهمها عن سلامة مادلين وبقي هناك الى المسآء وهو على مثل شوك القتاد حتى عادت فبادرها بالسؤال عن صحة مادلين بدعوى انهُ من انسبآئها فقالت لهُ اني تركتها بحالة الخطر الشديد لانها بعد ان وضعت وتحققت نجاتها انتابتها اعراضٌ جديدة شديدة الوطأة . فقال ادمون وقد جمد الدم في عروقهِ ومِمَّ تشكو . قالت من آلامٍ تمزق احشآءها وحرارة في دمها تحرق جسدها وقد اعطيناها بعض المسكنات فلم تنجع فيها . فقال ولمَ لم تستدعوا لها بعض مهرَة الاطبآء . قالت لان المسيو ريمون لم يشأ مع انني اعلمتهُ بالخطر المحيق بزوجتهِ وطلبت منهُ استدعآء طبيب حاذق فلم يصغِ اليَّ واكتفى بطبيب البيت وهذا لم يحضر الا في هذا المسآء وقد تركتهُ هناك ومادلين المسكينة تصيح وتستغيث من الالم وقد ايقنت بفراق الحياة فهي تودعها بعباراتٍ يذوب لها الجلمود

فلم تتم القابلة كلامها حتى خارت قوى ادمون وكاد يغشى عليهِ فتجلد وودع القابلة وخرج هائماً على وجههِ وهو فاقد الرشد لا يدري اين يسير

فافضى بهِ الطواف الى قرب بيت ريمون فوقف فرأى الابواب مغلقة والنوافذ مظلمة وقد استولى على المكان سكوتٌ عميق يبعث في قلب الكئيب كل حزنٍ ورهبة . فلبث يطوف وهو حائرٌ شارد اللب حتى انقضى الليل وعند الصباح عاد الى بيت ريمون فرأى الخدام قلقين مضطربين فاقترب من احدهم وسألهُ عن حالة مولاتهِ فاجاب انها توفيت البارحة ليلاً وبعد قليل موعد تشييع الجنازة . فذُعر ادمون واستولى عليه الذهول فلبث في مكانهِ بلا حراك ولم ينتبه الا والجنازة خارجة من البيت فمشى مع جمهور المشيعين من عظماء وكبراء حتى اودعوها التراب وقفلوا راجعين

اما هو فجلس على حجرٍ هناك واخذ يفكر في هول ذلك الخطب الفاجع ثم تردد في خاطرهِ كلام القابلة عن مفاجأة الالم لمادلين بعد نجاتها وترك زوجها لها في حالة الخطر وعدم استدعاء احدٍ من الاطباء فعرف وقتئذٍ ان في الامر خيانة وان ريمون اغتنم حلول وقت ولادتها فاتفق مع الطبيب وسقاها السم لينتقم منها ثم لم يطلب منهُ الابتعاد عن باريز الا ليكون في مأمن ممن يتتبع آثار جنايتهِ . فهاج بهِ الغضب ونادى يا للثار يا لثار الحبيبة اني سانتقم من ذلك القاتل الغشوم فاثبت جنايتهُ امام القضاء . ثم عاد وقال ولكن من اين لي ذلك وليس لديَّ شهود وخصمي قوي وهو رئيس محكمة الجنايات . وعندئذٍ تناهى بهِ اليأس فصار ينتحب ويقول الويل لي انا الشقي فقد كنت انا سبب الجناية على حياتها فيا لطول بلائي وثقل جريمتي . ان احزاني لا تنتهي الا بالموت بل هو خير موردٍ لي عسى ان التقي بها في دار البقاء فاستغفرها عن ذنبي . ثم تناول مسدسهُ واطلقهُ على دماغهِ فوقع مختبطاً بدمائهِ قتيلاً بدائهِ